

الإصلاح دائماً متفقة متجانسة - ولكنها أشعرت الأمة هذه المرة بصورة أخرى هي أن لاغنى للأمة المصرية ولا للعالم الإسلامي عن الأزهر . ولكن كيف يؤدي رسالته الوطنية والعالية في القرن العشرين ؟

تنهت الأذهان وعنى الكتاب والباحثون في الشؤون الاجتماعية والعلمية بهذا الموضوع ودونوا لهم آراء في ذلك وآسف أني لم أطلع عليها . وقد يجوز أن يكون هؤلاء قد عالجوا الموضوع من نواح عدة ، وأظهروا رغبتهم الإصلاحية لهذا المعهد التاريخي الكبير في صور يرون فيها مهمته في العصر الحديث . ربما يكون بعضهم قد تناول مثلاً تحديده كدراسة عالية لفئة خاصة من الأمة يجب عليها قبل الالتحاق بها استيفاء شروط مخصوصة ودراسة إعدادية على نمط خاص أو غير ذلك من التنظيم والمناهج ولا أريد أن أبحث الآن : كيف يكون الأزهر معهداً نظامياً كما عهدت الحكومة العالية ، لأنني لا أبتني أن يكون الأزهر على هذا النمط الآلي ، وإنما أريد أن أبحث : كيف يتحول الأزهر إلى جامعاً علمية حديثة مع الاحتفاظ بصبغته الماضية التي حولت له أن يكون هو المدرسة الوطنية الوحيدة في مصر في الوقت الحاضر بحكم اعتماده على ثقافة الأمة الموروثة ، والتي منحت صفته روحية باعتبار أنه المكارم الأول في العالم الإسلامي للعناية بالدين ونشره ، ثم كيف يكون الطريق العملي لذلك ، إذ كثيراً ما كتب دعاة الإصلاح وكثيراً ما حاولوا القائمون بأمره أن يصلحوه ، ولكنها كانت كتابة يغلب عليهم الخيال ، ومحاولة كان أساسها تقليد نظم مدارس أخرى : مدارس وزارة المعارف التي هي في نفسها أيضاً بناء مرقع روعي فيه تقليد رسوم متباينة ؛ وهذه المحاولة كادت تخرجه عن الغرض الذي يجب أن يكون له الأزهر والذي كان له منذ قرون مضت

وغاية الأزهر (أولاً) تهذيبية علمية وطنية ، لأنه يقوم بتربية جزء عظيم من أبناء الأمة ويعدّه فوق ذلك لتولى عدة مصالح في الشعب ، لا يمكن تبويضه فيها ، لها قيمتها في إصلاح^(١) نواحيه الخلقية والاجتماعية ، وبالأخص في رعاية الأسرة التي هي الدعامة الأولى في بناء الأمة . و (ثانياً) دينية عالية لأنه المرجع الأول لحل المسائل الدينية التي لها ارتباط وثيق بالشؤون الاجتماعية

(١) التهذيب المدرسي ، التهذيب الشعبي بواسطة الوعظ ، ثم رعاية المحكمة الشرعية للأسرة وحفاظتها على كيانها

الأزهر وطريق إصلاحه ربط حاضر الأمة بماضيها للدكتور محمد البهي قرقر



ليست فكرة إصلاح هذا المعهد العظيم حديثة النشأة ؛ وليست كل محاولة لإصلاحه كانت ناجحة ؛ وليس كل من قام بأمر الإصلاح فيه كان موفقاً . ولا أريد هنا أن أسرد الأدوار التي مر بها الإصلاح ، وعدد الخطوات التي أخفق فيها المسمى ، والأخرى التي كان له فيها بعض النجاح ؛ إذ كل باحث في أمره يوقن أن الخطوة الأولى التي كانت موفقة فيه هي التي خطاها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وأنه هو الذي يعتبر أول مصلح كانت له فكرة ، وبجانها شخصية ذات إرادة مستقلة ، وبسببه حافظ الأزهر على حياته ، وإن كانت حياة المهرم الذي تموزه زيارة الطبيب الحاذق من وقت إلى آخر . وبالرغم من وهن هذه الحياة كان ما قام به الإمام هو دور المصلح وداعية البطولة في زمنه

استمر الأزهر بعد ذلك في حياته التي يحس فيها بضعف ، تارة يشتد إذا لم يجد في طبيبه صفة الهبة - وكثيراً ما كان ذلك - وطوراً يخف إذا واثق القدر بمن يواسيه أكثر ممن يطيعه . تغيرت فيه عدة مناهج واستبدلت نظم بأخرى باسم الإصلاح ؛ ومع ذلك لم يتم إصلاح أو لم يتكون أساسه ، لأن الإصلاح الذي يجب أن يكون ، وبعبارة أخرى الذي يحمل عليه قانون الوجود الحالي المبني على تنازع البقاء وحياة المصلح ليس علاجاً مؤقتاً وإنما هو إيجاد حياة من نوع آخر ، حياة فتوة لها قوة ممانعة ومقاومة وقوة كفاح وهجوم . ظل أمره كذلك حتى هيا القدر له ، وشاء أن يكون تلميذ الإمام ، رجلاً^(١) من أولئك الذين لهم عقول مستقلة بعيدة الذي في التفكير ، ولها قوة إرادة في التنفيذ في صمت وورزاة . فأول خطوة ضرورية رآها للإصلاح أنه عمل على إسمار الأمة بالأزهر وإتصال الأزهر بالأمة ، فحياته إذن يجب أن تكون من نوع حياة الأمة ، ومصر أمة ناشئة فتية

أيدت هذا العمل عقلية^(٢) أخرى من هذا الطراز - وعقول

(١) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراعي (٢) دولة عل ماهر ناشأ

في فضاء الاموال الشخصية، وهو يشمل على سبيل التقريب: عقد النكاح، حقوق الأسرة، النفقة، الارث، نظرية إثبات النسب والتبني وعلاقة ذلك بالمجتمع وتكوين الأسرة. نظرية الحضانة الفردية وارتباطها^(١) بنظرية قيام الدولة بالعناية بالأطفال إجبارياً لشقاق في العائلة أو طرد جنون على أحد الزوجين أو ما شاكل ذلك... وأسائفة في الفقه الإداري والسياسي، وهو يشمل على سبيل التقريب: معاملة الأجانب ونظرية الأقلية في اعتبارها هيئة منزلة لها احترام عاداتها مالم تخل بنظام الأكثرية وعليها ضريبة (الجزية) للقيام برعايتها وحفظ مصالحها. مبدأ الجهاد. قوانين الأسر والعق. مبدأ الشورى في نظام الحكم الداخلي. مبدأ التفويض للوالي. الاستقلال في السياسة الخارجية (نحو العدو مثلاً) وإعلان الحرب

وفي الفلسفة والأخلاق يجب أن يكون هناك أيضاً فنيون في موضوعاتها المختلفة على هذا النمط، فأخصائيون في فلسفة الاسم، وتشمل على سبيل التقريب: محافظة الاسلام على وحدة الأمة والرغبة في عدم تصدعها. نظرية الايمان بوحدة الخالق. تفضيل صلاة الجماعة. ضرورة الاجتماع كل أسبوع في مكان واحد لافرق بين غني وفقير ورفيع ووضيع لتجديد عهد الأخاء وهو الفرض من صلاة الجمعة. ضرورة اجتماع أغنياء مسلمي العالم في أول مكات الدعوة الاسلامية كل عام لتذكر عهد النشأة والاستمرار في التمسك بالعقيدة والعمل على نشرها، وهو الفرض من الحج. العمل على إشعار ذوي النفوذ المالي بوجوب المطف على الفقراء إبقاء لالمهم في أيديهم وقملاً لثورة نفسية بين الطبقات المدممة ربما تتبعها ثورة أخرى اجتماعية (بلشفية) قلب نظام الحكم في الأمة وتزع رؤوس الأموال من أيدي أصحابها.. وهو الفرض من الزكاة. وأخصائيون في الفلسفة الاسلامية، وتشمل على سبيل التقريب: لا حكاية ما قال ابن سينا وتبعية

والاقتصادية لأهم العالم الاسلامي والتي يتوقف تقدم تلك الأمم أو تأخرها بنسبة كبيرة على فهم الروح الدينية (الفقهية) أو عدم فهمها لهذه المسائل الحيوية

ومن يفكر أو يحاول أن يحمل غيره على أن يعتقد أن غاية لأزهر روحية بالمعنى الكنسي، فبعت تفكيره هذا التقليد سلبى الذى طنى على النواحي العقلية في مصر الحديثة، ومنشأ باولته جهل أو تجاهل بالتاريخ أو سوء فهم للإسلام وللأزهر لأثره في تكوين النهضة الوطنية، أو هو نفسه لا يقيس وطنية إلا بمقياس العاطفة، وما كانت العاطفة في يوم من الأيام حدى الدعامات في بناء راسخ!

ولكن الأزهر الآن يؤدي مهمته كما كان يؤديها في الغابر تلقين ما للماضى من ثقافة؛ وربما يدعى أن هذا التلقين وحده يُبعد الناشئة للكفاح في الحاضر ولا يقرب فهم المسائل الدينية الاجتماعية من ضوء الواقع الحالى، فذلك التلقين لا يفي لهذا اية من وجود الأزهر، لأنه أداء جزء من مهمة يجب أن يتصل توالاً أداء البقية وهي ربط الحاضر بالماضي. وهذا هو الطريق لي، فيما أظن، لتحقيق غاية الأزهر التهذيبية والدينية

ربط الحاضر بالماضى ليس معناه ضم ثقافة أجنبية جديدة حدة إلى ثقافة الماضى، وإضافة علوم حديثة مستقلة إلى ان للأمة في الأزمان الغابرة، وإنما هو السير في البحث العلمي أثار الثقافة الموروثة، ولكن في ضوء مقتضيات العصر سر. وهذا السير يتطلب التخصص في العلوم المختلفة ولكن في موضوعات الفن الواحد. فثلاً في الفقه يجب أن يكون هناك أسائفة فنيون في موضوعاته مزودون بثقافة أخرى لها ارتباط وثيق بالموضوع التخصص فيه. فيجب أن نرى أسائفة في الفقه الخائى، وهو يشمل على سبيل التقريب: الديات وفرض مبدأ التمويض المالى. التعزير بالحبس. القصاص. إعفاء الوالى من إقامة الحد إذا رأى المصلحة العامة في ذلك... وأسائفة في الفقه المردى التجارى، وهو يشمل على سبيل التقريب: عقود البيع، نظرية الربا وربط الفائدة. الرهن. الايجارة، الشفعة. عقود الشركات المختلفة. مبدأ الضمان والكفالة. المبة. الوصية... وأسائفة

(١) هو نظام حكومى في ألمانيا وفي بعض بلدان أوروبا يعرف هنا باسم « Soziale Fürsorge » وعنايته وقاية الطفل في الصغر من تأثر نفسه بالشقاق الحاصل في العائلة أو من أى خلل آخر يطرأ في بنائها ويكون من ورائه تخوير سلوكه الشخصى لشقاقه هو أو شقاء المجتمع الذى هو فيه بسببه فهو

تتميز بالرعاية من أمهات اجتماعية

ضعف الشقاق، بين المصمم على اتباعه وبين الواهم في التخلي عنه، بين «الرجى» و«المجدد» وبين «القديم» و«الحديث». وما خدمة العلم هنا إلا الرغبة في السيادة واستمرار سيطرة «الحضارة الأوربية» على الشرق الإسلامى

وعلى هذا النمط في التخصص يسير الأمر في العلوم الأخرى. وبخاصة يجب مراعاة هذه القاعدة بدقة في قسم الوعظ والإرشاد. ففضلاً عن أن تتبع فيه دراسة أساليب التبشير الحديث يلزم دراسة نفسيات الشعوب الإسلامية المختلفة وعاداتها ولغاتها. وبناء على هذه الدراسة الأخيرة ينشأ التخصص والتوزيع، فيجعل: قسم للوعظ والإرشاد للشعب المصرى فالنوع الحملى منه: يتولى قبل كل شيء بحث نفسية المجرمين ونوع الاجرام الذى يرتكب بكثرة بمساعدة الاحصائيات الرسمية لذلك، ثم دراسة أسلوب الوعظ الذى يمكن أن يؤثر في مثل هذه النفسية ويحملها على الاقلاع أو التقليل من هذا الاجرام...

والنوع الثقافى الآخر: يتولى الإعداد لهذيب شعبي مب على البساطة، وكيفية الخطابة في المساجد، وإعطاء دروس للشعب فيها هو في حاجة إليه من الثقافة الخلقية والواجبات الفردية والجمعية

ويجعل قسم للوعظ والدعاية: لشعوب الشرق الأدنى

» » : لسكان الشرق الأقصى والمهندوج

» » : لشعوب البلقان

» » : لسكان السودان والحبشة وجنوب

أفريقيا

» » : لسكان أمريكا الجنوبية

وفي كل قسم من هذه الأقسام تدرس فضلاً عن لغة الشعب، القواعد الخلقية التى يسير عليها، والمذهب الفقهي السائد فيه. وبناء على هذه الدراسة تحدد موضوعات الوعظ الدينى التى يجب دراستها في كل قسم، لأن الغاية من الوعظ هي حمل الشعب بطريق التأثير في نفسه على اتباع قواعد خلقية معينة يقتضيها النظام العام لحفظ وحدة الأمة وبغية سعادتها. والغاية وإن كانت واحدة فإن الطرق إليها مختلفة لضرورة اختلاف النفسيات التى

ابن رشد لأرسطوطاليس وأمثال ذلك مما ينقل فحسب، وإنما قبل كل شيء بيان منزلة الفلسفة الإغريقية، وهى الفلسفة الإلهية وعلاقتها بعلم «التوحيد» الإسلامى، ثم مقدار نصيب الإسلام من هذا العلم. ثم بيان مساهمة العلماء الإسلاميين ومساهمة الثقافة الإسلامية في خلق فلسفة إسلامية وتكييفها... وإخصائيوهم في أهمهم الإسلام والافهمهم الإسلاميه: وتشمل على سبيل التقريب: البادى الخلقية التى جاء بها الإسلام. مقارنة ذلك بالنظريات الأخلاقية الإسلامية التى اشتغل بها علماء الإسلام والتى قد لا يمت^(١) بمض مبادئها إليه بصلة إيجابية. مقارنة ذلك أيضاً بالنظريات الخلقية الحديثة. دراسة المبدأ الخلقى ونظرية اعتباره المطلق أو المقيد...

وهذا التخصص ليس تبويجاً جديداً أى صورياً فحسب، وإنما هو أبحاث علمية مستقلة يجب على من يقوم بها دراسة ما يشبهها في الثقافات الأخرى حتى يتكون مبدأ المقارنة والاستنتاج، ثم يتبعه مبدأ التطبيق العملى، وهما من عوامل التقدم في البحث العلمى، لأن حكاية ما قيل فقط لا يسمى بحثاً فضلاً عن وصفه بالعلمى. فأستاذ الفقه الجنائى مثلاً يجب أن يدرس علم النفس الجنائى: Kriminal psychologie، الذى هو مختص ببحث أنواع الاجرام النفسى، ثم بحث التشريع الجنائى الحديث وكيفية بنائه على التجارب النفسية بوساطة هذا العلم. وأستاذ الفقه المدنى والتجارى عليه أن يلم بالنظم الاقتصادية الحديثة. وأستاذ الفقه السياسى ينبغي أن يلم بالتاريخ الاقتصادى والسياسى وبفلسفة^(٢) الحرب وفلسفة مبدأ حكم الأقليات.

وبواسطة هذا يتسنى لهؤلاء الأساتذة لا بيان مزايا الدين الإسلامى فحسب في هذه الموضوعات مثلاً، بل حمل الأمم الإسلامية على الاعتماد في تشريعها الحديث في كل أنواعه على مبادئ الفقه الإسلامى، ثم في الوقت نفسه ردّ حملات العلماء الأجانب على الإسلام التى سببها الجهول أو الرغبة في إبعاد المسلمين عن اتباع دينهم باسم «خدمة العلم» و«حرية البحث» حتى يدب فيهم

(١) فبعض مبادئ الأخلاق التى توصف بالإسلامية وبالأخس الصوفية والتى عني بها علماء القرن الرابع الهجرى هي غيادى مدرسة الأسكندرية، المدرسة الأفلاطونية الحديثة التى تأثرت بالأخلاق الدينية اليهودية ثم المسيحية (٢) للأستاذ الفيلسوف الألماني هيغل Hegel في هذا الموضوع نظريات فلسفية عظيمة الشأن، هي أساس فلسفة هذا النوع في أوروبا على العموم

العالم الأخرى التي لاتصل بالاسلام اتصال تدين ، وتنفق على ذلك مبالغ جسيمة ، ومع هذا فصر الحديثة صاحبة النهضة التي لاقتل شأنًا عن نهضة كثير من بلدان أوروبا الجنوبية والشرقية مازالت هنا في أوروبا هي مصر الافريقية

إن الأزهر قارب أن يبلغ ألف سنة ، وتلك مفخرة لم تصل إليها إحدى الجامعات العالمية بعد ، والعالم يريد أن يرى رؤية محسوسة مبلغ التطور الذي وصل إليه والذي هو مقياس نهضة مصر العلمية الوطنية ، لا التقليدية ، ويعرف أى القواعد يسير عليها في بحثه ، وأية نظرية يأخذ بها في تأدية رسالته ، بعد ما وقف بالبحث عند طريقة ^(١) القرون الوسطى زمانًا طويلا وبعد ما كان في حيرة من أمر رسالته ، حيرة سببها عدم معرفته بها

إن مصر اليوم والعالم الاسلامي يشهد بما لفضيلة الأستاذ الأكرم الشيخ المراغي من عمل جدى ملموس في إصلاح هذه الجامعة العالمية ويعترف بقدرته على إتمامه اعترافًا مرجعه الاقتناع بأن له شخصية مصلح في التاريخ الحديث ، وما أقل وجودها في العالم وأندرها في مصر وأشدها ندرة في الأزهر . كل بمقد عليه أملًا كبيراً ، أمل البناء والتشيد في الإصلاح . كل يرتقب ثورة فكرية ، وانقلاباً إصلاحياً له حدته التاريخي ؛ فالوقت تأخر ، والحاجة ماسة ، والمقول متهيئة لهذا الانقلاب ، والنفوس ملت هذه التعديلات الصورية

مولاي المراغي : إذا كان المصلح الأول والوحيد قبلك وهو الأستاذ الامام ، قد حافظ على حياة الأزهر فحسب ، ولم يتركه لك فتياً بل سلمه إليك كهلاً يمانى ألم الضعف ، فإن ذلك ما أمكنه وأمكن زمنه معه أن يؤديه للأمة والتاريخ ؛ ولكنك أنت في زمن توفرت فيه وسائل الإصلاح وانتشرت روح الشباب والتجدد في كل شيء ، فهمتك من هذا النوع ، ولها جباك القدر بتلك الشخصية ، وبشأيتها ستكون موضوعاً للتاريخ والبحث

محمد البرهي قرقر

دكتور في الفلسفة وعلم النفس
وعضو بثة الامام الشيخ محمد عبده

تخضع في تكونها إلى الوراثة والثروة الأولى والمجتمع فيما بعد ، وهذه العوامل ليست متشابهة في كل أمة

هذا فضلاً عن أن دراسة نفسيات هذه الشعوب وثقافتهم هي في نفسها دراسة إسلامية يرجي من ورائها تعارف الأمم الإسلامية وتزايد الرابطة بينها

وبهذه الأهمية أصبحت دراسة علم النفس التجريبي اليوم ، ومن خصائصه وصف النفسيات المختلفة للأفراد والأمم ، العامل الأول في السيطرة على النفوس إما لفرض إصلاحها أو بنية استعمارها . ولم يعن الأوربيون بدراسة النفس الشرقية على ضوء التجارب والسلوك الشخصي وكذا بقية الأمم الضعيفة وإنشاء المعاهد ^(٢) المختلفة لدرس ثقافتهم وأديانهم ولغاتهم حياً أفلاطونيا في العلم وغراماً خيالياً بالبحث ، وإنما عناوياً رغبة في السيطرة والاستعمار العسكري أو التجاري

وإذا كانت التخصص في الموضوعات الفنية يحتاج إلى الاتصال بالأوساط العلمية الأخرى ، الأجنبية عن الأزهر ، فإن التخصص في أقسام الوعظ أشد احتياجاً إلى الاتصال بالشعوب الإسلامية المنتشرة في بقاع الأرض ودراسة أحوالها لنفسية والشعبية لبناء الوعظ على أساس متين تكون من ورائه فائدة محققة ، وتتقوى بذلك رابطة مصر العلمية والأدبية بالأمم الإسلامية الأخرى ، وهي رابطة يجب أن تحافظ عليها لأنها سبب نعمة مصر فيها بينها وتعلق تلك الشعوب بها

وبهذا يكون للأزهر صلة حية بالشعب إذ يصبح المدرسة مالة لثقافة وطنية مؤدية لمقتضيات العصر الحاضر ، ومهد البحث للتشريع الوطني الحديث ؛ وفي الوقت نفسه يقوم برسائله الروحية في بقية العالم الاسلامي ، ومن ورائها يؤدي رسالة مصر الأدبية في الخارج . وما هذه النزلة العالمية التي تتمتع بها مصر اليوم في الشرق إلا لهذه الصلة الروحية واعتقاد أن مصر تملك أكبر مكان للدراسات الاسلامية كما تملك مكة للكرمة أول مكان للدعوة إلى الاسلام . ولولا الأزهر لما نالت مصر تلك النزلة بين الأمم الشرقية ، فهي تمثل سياسياً تقريباً في كل بلدان

(١) في ألمانيا يوجد في كل جامعة من جامعاتها وهي ١٧ جامعة عدة معاهد مختلفة لهذا النوع من الدراسة كمعهد ثقافة الشرق الأدنى ، المعهد الصيني ، المعهد الأفريقي ، معهد سكان جزر الملايا وجاوة ، معهد درس ثقافة أوروبا الشرقية وبلاد البلقان ... وكان يطلق عليها فيما قبل معاهد الاستعمار

(٢) تلك الطريقة هي تكرار رواية القول ، الجدل في الصور والألفاظ ، قصر التهذيب على الناحية العقلية . شحذ الذهن وقلة الاهتمام بالناحية النفسية الأخلاقية واندماجه بالنسبة للناحية الجسمية التي أثبت علم النفس التجريبي اليوم مدى ارتباطها بالجانب العقلي والنفسى وأثر تربيتها في تكوينها تكويناً إيجابياً